التراث العربي الإسلامي المخطوط وجهود المحققين، المستشرقين أنموذجا

عمر بن عراج، أستاذ تاريخ ،
عضو بمخبر الفكر الإسلامي في الجزائر
جامعة الجيلالي اليابس.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور الذي لعبه المستشرقون، وجهودهم في تحقيق التراث العربي الإسلامي المخطوط؛ من جمع، وتحقيق، ونشر، وفهرسة، وترتكز على موقفهم من التراث العربي الإسلامي المخطوط، وتبيان أساليبهم فيه، كما يهدف هذا البحث إلى تحقيق مايلي: التعريف بالتراث، وكذا المخطوط، وتاريخه في الحضارة العربية الإسلامية، إلى جانب الاستشراق، و مفهومه، ومدى إسهام المسترقين في التراث العربي الإسلامي المخطوط، وأشهر المدارس الإستشراقية التي عملت في هذا المجال؛ بذكر بعض من النماذج من إسهامات المستشرقين، وجودهم في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، المخطوطات، التحقيق، المستشرق، التراث العربي الإسلامي.

مقدمة:

تتعدد مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين من حيث المكان، والزمان، وأشكال الأوعية، ونوعية الاهتمام. ومن مميزات التراث الإسلامي كثرة المخطوطات التي خلفها المسلمون وراءهم، و احتاج هذا الوعاء التقليدي من أوعية المعلومات إلى عناية خاصة؛ من حيث مادته الورقية، ومحتواه. وكانت عناية المسلمين بهذا الوعاء المهم عناية فائقة، في الوقت الذي كان فيه الوعاء الأوحد لنقل المعلومات.

فترات الأمة المخطوطة جزء أصيل من كيانها ووجودها، و بإحيائه، ونشره محققا تتسامى صعدا في مراقي المجد، والحضارة. والمسلمون يملكون من التراث في مختلف صنوف المعرفة تركةً ضخمة، خلفها لنا آباؤنا، وعلماؤنا الأوائل الذين ضربوا في كل علم و فن بسهم وافر، مما لم يشهد له مثيل عند أمة من الأمم.

وتتجلى أهمية المخطوطات، وتظهر مكانتها، من كونها جزءا من التراث العربي الإسلامي الذي قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية، ودراستها تدفع إلى التعرف على أسباب النهوض، وعوامله والتطور، والتقدم، والإبداع عند العرب المسلمين، ومعرفة الطريق الذي سار عليه الأقدمون في مسيرة بنائهم الحضاري. وأصبحت المخطوطات محل اهتمام عدد كبير من المستشرقين، نظرا لقيمتها العلمية، والفنية، فضلا عن كونها جزءا مهما من التراث العربي الإسلامي العريق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في العصر الحديث نشر بعض المستشرقين الكثير من التراث العربي، وتكلموا في مناهج التحقيق، كما قام العلماء العرب بالتسابق في تحقيق التراث، ونشره، وتكلموا في مناهج التحقيق، فنشر العلامة الجزائري ابن شنب[1] كتاب: **"بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"**، لابن خلدون سنة 1903م، و**"رحلة الورثلاني"** في سنة 1908م، فكان رائد المحققين الجزائريين بحق، وألف عبد السلام هارون[2] **"تحقيق النصوص و نشرها"**، و لم يوقف علم لتحقيق على العرب والمسلمين فقط، فقد برزت اهتمامات المستشرقين بالتراث العربي الإسلامي من حيث الحفظ، والدراسة، والتحقيق والنشر، والترجمة، والفهرسة، والتكشيف، مما كان له أثر واضح أدى إلى أن تعد الظاهرة الإستشراقية مصدرا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمون، ولم تخل هذه الجهود من المآخذ التي تعرض لها الدارسون العرب والمسلمين عند نقاشهم لإسهامات المستشرقين في خدمة التراث، مما تولد عنه مدارس في مدى قبول هذه الإسهامات ورفضها.

وتأتي هذه الدراسة من سلسلة من الدراسات التي تسعى إلى إنصاف ظاهرة تحقيق التراث، وباع المستشرقين فيها، ووضعها في الموقع المناسب؛ بذكر الجهود والمآخذ عليها رغبة في النظرة العادلة للظاهرة، دون إغفال الدوافع، والأهداف التي قادت أخصائيي التحقيق من العرب، والمستشرقين إلى الإتمام بالتراث العربي الإسلامي، ودفعتهم إلى الاهتمام بمصادره.

وقد جاءت هذه الدراسة على قسمين: القسم الأول؛ يعني بالتراث العربي الإسلامي، ومفهومه، والتعريف بالمخطوط، وأوضاع المخطوطات في التاريخ العربي الإسلامي.

القسم الثاني عمد إلى إيراد إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، و تحقيقه، و ذلك من خلال أشهر المدارس الاستشراقية التي عملت في جال التراث العربي المخطوط، وعناية المستشرقين بتحقيق المخطوطات؛ بذكر نماذج مما أسهم به المستشرقون في خدمة التراث الإسلامي.

أولا :

1/ ماهية التراث العربي الإسلامي:

لغة: ما ورث ما يخلفه الرجل لورثته[3]، والتراث اصطلاحا هو ما خلقته لنا الأجيال السابقة من أثار فكرية مسجلة على الألواح، وأوراق البردي، أو مدونة في بطون الكتب التي خطتها أيديهم قبل أن تعرق الطباعة.

والإنسان بطبعه يحرص على ما تركه له أبائه، وأجداده من أثار مادية، ومعنوية، بل إن هذه الآثار لتتزايد قيمتها، وتتضاعف بمرور السنين والأيام لأنها تكتسب قيمة تاريخية تضاف إلى قيمتها المادية.

و لقد أخذ التراث العربي الإسلامي هذا الإطلاق، أو هذه التسمية من وجهتين؛ فهو تراث عربي لأنه كتب بالعربية ابتداءا أو نقلا عن السريانية، والفارسية، والهندية، واليونانية، وغيرها، فلغة هذا التراث عربية بالدرجة الأولى، وهو تراث إسلامي لأنه يعبر عن الفكر الإسلامي، وينطلق من المنطلقات الإسلامية، و يخدم الثقافة الإسلامية وقام بين نشأ بين المسلمين[4]، وليس كل التراث الإسلامي عربيا من حيث اللغة؛ إذ أن هناك لغات غير عربية تحفل بالتراث الإسلامي.[5]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2/ تعريف المخطوط:

لم تكن كلمة المخطوط، أو مخطوطة المستخدمة حاليا في هذا العصر معروفة في القديم إطلاقا بمعناها الاصطلاحي؛ إذ لم تكن مستخدمة، وكانوا يستعملون بدلا منها اسم "كتاب"، أو "سفر"،أو "جزء"، أو "رسالة"،أو "مجلد'"، وغير ذلك من المصطلحات، وكانت هذه العبارات تطلق على كل كلام مؤلف يبحث موضوعا ما، أو عدة موضوعات مسجلة في أوراق مكتوبة بخط اليد.

وظهرت كلمة المخطوط في العصر الحديث لتقابل كلمة مطبوع، بعد أن عرف العالم الطباعة، و صارت تطلق على نسخة الكتاب التي خطها المؤلف، أو غيره من النساخ بخط اليد، والنسخة التي يدفعها المؤلف إلى المطبعة ليطبع فيها ثم ينشر.[6]

3/ أوضاع المخطوطات في التراث العربي الإسلامي:

اهتم المسلمون منذ العصر الصدر الأول بالعلم، و الشاهد على ذلك تنافس الخلفاء والأمراء على مر التاريخ في اقتناء الكتب، وتأسيس المكتبات، فمنهم من كان يطلق عليها بيت الحكمة، أو دار العلم، أو دار الكتب، أو الخزانة.

وقد أهدى الجاحظ نسخة من كتاب سيبويه إلى محمد بن عبد الملك الزيات خلال وزارته للمعتصم، فقال له ابن الزيات: "أو ما ظننتم أن خزائننا خالية من هذا الكتاب"، فقال الجاحظ: "ما ظننت ذلك، ولكنها بخط الفراء، ومقابلته الكسائي، و"تهذيب عمرو بن البحر الجاحظ" فقال ابن الزيات: "هذه أجل نسخة توجد، وأغر بها، وسرّ بها وقعت منه أجمل موقع[7]، وقد أمد الخليفة المأمون المكتبة العربية بدخائر المخطوطات المترجمة عن اليونانية، وكان يحصل على الأطول أحيانا، ويرسل البعثات إلى بلاد الروم للحصول عليها.[8]

وكان الاستقرار السياسي النسبي في تلك الفترة من الخلافة الإسلامية، وتشجيع العلماء من أهم عوامل النهضة العلمية، ولكن تلك الفترة لم تدم، وكثرت الصراعات السياسية على الحكم داخل الدولة الإسلامية، وفي الخارج فأدى النزاع بين الملوك، والطوائف في الأندلس إلى سقوطهم واحد تلوى الآخر، و أعمى الحقد ملوك الفرنجة، فأحرقوا مئات الآلاف من المخطوطات في ساحة قرطبة[9].

ودفع التعصب الديني الصليبي إلى إحراق دار العلم في طرابلس الشام؛ التي كانت تحتوي عل ثلاثة ملايين كتاب سنة 522ه، و لم يمض على إنشاءها ثلاثون عاما.

وأدت الخلافات المذهبية بين المسلمين إلى الهجوم عبيد المغاربة، والمناصرين للحكم الفاطمي في مقر الخلافة في القاهرة سنة 461ه، وإحراق آلاف المخطوطات انتصارا للمذهب الإسماعيلي[10].

كما أحرقت خزانة الكتب في حلب التي أوقفها سيف الدولة الحمداني سنة 460ه، وأحرقت المدرسة النظامية سنة 410ه، أما جنكيزخان فقد بني من الكتب إسطبلات الخيول، وتغير لون دجلة لكثرة ما ألقي فيه[11]، ولم تسلم المكتبة المستنصرية في بغداد و غيرها من دور الكتب من الطاغية هولاكو عندما دخل بغداد سنة 656ه[12].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و تعاقبت الحروب والفتن على تراث الأمة حتى قضت على أكثره، ولم تتوقف إلا بدخول محمد فاتح سنة 857ه، وإحكام سيطرت آل عثمان على الخلافة الإسلامية، وفي هذا القرن أخذت الحروب الصليبية شكلا آخر فصدرت الأوامر من حكام الدولة الأوروبية بإنشاء المؤسسات التبشيرية بقصد دراسة الدين الإسلامي، وبدأت بوادر الكتب العربية المخطوطة تظهر مطبوعة في روما في مطلع القرن 16م، ونشطت حركة الطباعة في القرن 17م في عدد من مدن أوروبا، وكان انتشار الطباعة العربية فيها، فانتقلت نفائس المخطوطات إلى أوروبا، و خلال تلك الفترة بدأت الأطماع الاستعمارية الأوروبية ، والشاهد على ذلك ما وقع في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية حيث قضي على المكتبات الشخصية والعمومية معا، فوضعوا أيديهم على المساجد، والزوايا فصادروا ما فيها كالجامع الكبير بالعاصمة، ومساجد تلمسان، وقسنطينة، ومازونة، وبجاية، وعنابة..."[13].

وما كانت وفقا كالتي حبسها صالح باي على مدرسته قسنطينة، و محمد الكبير على مدرسته في معسكر، و مكتبة زاوية القيطنة الذي كانت ترافق الأمير عبد القادر لما فقد عواصمه، واستعمل مدينة الخيمة (الزمالة) فاستولوا على الزمالة، وأهدى الدوق دومال بعضها إلى مكتب شانتيه بفرنسا، وذلك ما حدث سنة1835م، وتلمسان سنة 1836م، و يروي يبيدروجر الذي رافق حملة كلوزيل على معسكر، و تلمسان، وكيف استولى على المخطوطات، وكيف نقلها إلى الجزائر على ظهور الحيوانات، وفي طريقه من معسكر إلى مستغانم سقط بعير من على هوة سحيقة، و على ظهره أربعون مخطوطا، فضاعت كلها معه، و يعترف أن ما جمعه بالطريق المذكور حوالي ألف مخطوط[14].

ضف إلى ذلك هجرة بعض الجزائريين بالمخطوطات الثمينة أمثال " ابن العنابي" الذي نفاه المارشال كلوزيل سنة 1830م، وحمدان خوجة الذي هرب من دور فيقو سنة 1836م، ومصطفى الكباطي الذي نفاه المارشال بوجو سنة 1843[15].

ثانيا :

1_/ مفهوم الاستشراق والنظرة السلبية والإيجابية له:

الاستشراق ظاهرة محددة بدراسة علوم المسلمين من غير المسلمين، بغض النظر عن الوجهة التي ينطلق منها المستشرق، سواء أتى من الغرب أم من المشرق، و أن العرب الغير المسلمين الذين يدرسون الإسلام يدخلون في مفهوم الاستشراق، ذلك أن هذا المصطلح قد أخذ مفهوما اصطلاحيا ارتبط بالكتابة عن الإسلام والمسلمين، مهما حاول المفكرون العرب، وبعض المفكرين المسلمين الدفاع عن هذه الظاهرة، وحاولوا إعطاءها قدرا علميا يتضح كثير عند الحديث عن خدمة تراث المسلمين من حيث حفظه، و نشره، وتحقيقه، ودراسته، وترجمته.

وهذه النظرة السلبية لظاهرة الاستشراق حجبت عن العيون والأذهان الجوانب الايجابية للاستشراق في خدمة التراث، وأصبح المتعذر على بعض المتابعين أي معلومة، ولو صحيحة مادامت صادرة من مشرق، أو منقولة عن مستشرق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع ذلك فإن الاستشراق قد أسهم إسهاما في خدمة التراث مهما حاول بعض الباحثين والمفكرين التقليل من هذه الإسهامات؛ لاسيما فيما تعلق بحفظ المخطوطات، وتصنيفها، وتحقيقها، ونشرها، وبعض الدراسات، والترجمات حولها.[16]

كما أنه يعني بالضرورة أن الاستشراق قد أسهم إسهاما غير جيد في التصدي للتراث، لاسيما فيما يتعلق بالدراسات التراثية التي تعني بدراسة القران الكريم، وسنة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وسيرته عليه السلام، والفقه الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، والرموز الإسلامية التي كان لها أثر واضح في مسيرة التاريخ. يقول أحد المهتمين بالدراسات الاستشراقية: "يظهر واضحا أن الاستشراق أظهر منذ البداية خلطا عجيبا من الدوافع التنصيرية الدينية، والسياسية، والفكرية، والاهتمام العلمي المحض، ومع هذا فإن الاستشراق لم يستطع أن يتخلى عن هذا الخلط العجيب المتناقض حتى يومنا هذا؛ مع إصرار الاستشراق اليوم على اتخاذه الموضوعية دليلا في دراساته عن الإسلام، أو النتاج الفكري عند المسلمين.[17]

2- المستشرقون و التراث العربي الإسلامي:

للمستشرقين أثر واضح في خدمة التراث العربي الإسلام منذ أن استقام عودة الاستشراق، وتكونت لديه العراقة، وتحول من مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها كيانها، ومدارسها، وفئاتها، ومنطلقاتها، وأهدافها.[18]

هذا في الوقت الذي تأخر فيه العرب، والمسلون عن خدمة التراث خدمة علمية ومادية، حتى خشي على ضياعه بينهم، عندما أصبح في كثير من دور الكتب قطعا متحفية تباع خفية لمن يدفع أكثر، ويبسط بها في الأسواق العامة، وعلى قارعة الطريق، هذا على أحسن الأحوال.

ولا ينكر المتابعون فضل المستشرقين في إثارة التراث، وخدمته حتى للباحثين العرب، والمسلمين، مع التفاتتهم العلمية للتراث، وفي هذا يؤكد محمد كرد على أنه: " لولا عناية المستعربين بإحياء أثارنا انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ، و معجم ما استعجم، وفتوح البلدان، وفهرست ابن النديم، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وأخبار الحكماء، والمقدسي، والاسطخري، وابن حوقل، والهمذاني، وشيخ الربوة، وابن جبير، وابن بطوطة إلى عشرات من كتب الجغرافية، والرحالات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، وبها وفقنا على درجة حضارتنا، ولولا إحياؤهم تاريخ ابن جرير، وابن الأثير، وابن الفداء، واليعقوبي، والدينوري، والمسعودي، وابن أبي شامة، وابن الطقطقي، وحمزة الأصفهاني، وأمثالهم، لجهلنا تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عماية من أمرنا، و لو جئنا نعدد حسنات دواوين الشعر، أو الكتب الآداب، والعلم، التي أحيوها لطال بنا المطال."[19]

بل إن المستشرقين من وقف نفسه على خدمة التراث العربي الإسلامي، و نأى بنفسه عن الولوج في أي مشروع يراد منه الإساءة للإسلام وأهله، بأي شكل من أشكال الإساءة[20]، وإن لم تخل خدماته من الإساءة التي يتوقع منها أن تكون غير مقصودة، وإنما أدى إليها سوء فهم، أو سوء سيطرة على اللغة، أو سوى اتكاء على الأتراب، و الرواد المستشرقين السابقين، ولمحمود محمد طانجي عشر ملحوظات على منهج المستشرقين في نشر التراث العربي، تعبر عن وجهة نظره هو وحده، و لم يتأثر فيها بأحد مادحا كان أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذاما، راضيا، أو ساخطا، فإن الحقيقة العلمية أعلى من الذم، والمدح، والرضى، والسخط[21]. ومجمل هذه الملحوظات المستشرقين اتخذوا ثلاثة اتجاهات في نشاطهم:

نشر النصوص، والتعريف بالمخطوطات، ودراسة الفنون، وأعلام التراث، وارتباط حركة نشر النصوص بالجامعات، والمعاهد العلمية، وأن فنون التراث لم تحظ منهم بقدر متساو من النشر، واتجاه المستشرقين، أو الأمر إلى أصول العلوم، والفنون واهتمامهم باستقصاء مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه، وكثرة استعانتهم بأهل اللسان العربي في تحرير النصوص، وحرصهم على تأدية النص أداء صحيحا، وحرصهم على تكشيف الكتاب المحقق، واهتمامهم بعلاقة الكتاب المحقق بالكتب السابقة عليه في موضوعه، والكتب اللاحقة المتأثرة به، ووقوعهم في أوهام غليظة، لا سيما فيما يتعلق بألفاظ اللغة العربية، وتراكيبها، ودلالاتها، ومصطلحات العلوم العربية، وفنونها.

ويمكن حصر إسهامات المستشرقين في خدمة التراث في خمسة مجالات هي في النهاية المجالات المهمة التي يمكن أن يخدم التراث من خلالها وهي:

أولا: البحث عن المخطوطات، والرحلة إليها، وجمعها، ونقلها، وحفظها، وصيانتها.

ثانيا: فهرسة المخطوطات[22]وتوثيقها، وضبطها وراقيا، ووعائيا، أو بيبلوجرافيا، وربما تكشيفها وتلخيصها.

ثالثا: تحقيق كتاب التراث.[23]

رابعا: الدراسات حول التراث مع العناية بالمعاجم.

خامسا: ترجمة التراث إلى اللغات الأوروبية.

هذا بالإضافة إلى نسخ بعض المخطوطات، وتحريرها، أو تطورها أو نشر اقتباسات من بعضها[24] فاستحدثوا لذلك وظائف النساخ، واستعملوا لها بعض الناسخين، والمحررين العرب ممن يتمتعون بحسن الخط؛ من أمثال ميشيل صباغ المصري، والشيخ حسن زيدان، ورزق الله حسون، ومحمد عياد الطنطاوي، وحسن العدل، وإبراهيم عبد الفتاح طوقان، وغيرهم، بل لقد استحدثوا وظيفة "قارئ نصوص" يقف إلى جانب الأساتذة و المحاضرين[25].

ويمكن أن يصنف اهتمام المستشرقين بالتراث العربي الإسلامي من حيث المقاصد من خلال تصنيف المستشرقين إلى أربع طوائف.

الطائفة الأولى:

طائفة قصدت إلى التعرف على أثر الفكر، والتراث العربي، والإسلامي على الحضارة الغربية.

والطائفة الثانية:

تلك التي اهتمت بالتراث العربي الإسلامي للتعرف على مدى تأثير الحضارة لأوروبية عليه.

الطائفة الثالثة:

وطائفة وقفت موقف العداء للتراث، وأهله، وحاربته علنية، وسرية.

والطائفة الرابعة:

تلك التي كانت منطقة إلى حد ما،لأنها تؤمن أن صناعة الفكر الحضاري مهمة الإنسانية جمعا[26].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما من حيث المنهجية التي اتبعها المستشرقون في دراسة التراث فلم تقتصر على المنهج التاريخي، بل شملت المنهج التحليلي، و لمنهج الإسقاطي، ومنهج الأثر، والتأثر، ومنهج المطابقة، والمقابلة، وقد تجتمع هذه المناهج في دراسة واحدة، أو عند مستشرق بعينه، وقد تفترق، وهي نفسها قد استخدمها الأوروبيون في مجال الدراسات الإنسانية بصورة عامة، ولأنها تستند إلى المذهب الوضعي الذي طبقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية في القرن التاسع عشر، والعشرون، ولم يحيدوا عنه إلى الآن، بالرغم من نبذ هذا المذهب في الوقت الحاضر للدراسات الإنسانية[27].

ولم تخل هذه المناهج مجتمعة من المأخذ فيها، عدا منهج المطابقة، والمقابلة الذي يرع فيه المستشرقون، وأجادوا لمعرفتهم بالعديد من اللغات، واطلاعهم على العديد من المخطوطات، واكتشافهم للمئات من النقوش والآثار.

ومع ذلك لم يخل منهج المستشرقين من الخلط والخطأ في نقل النصوص ودراستها مما يستحق التنبيه إليه لما فيه من قلب للحقائق يكاد يكون متعمدا في غالب الأحيان[28].

3/ أشهر المدارس الاستشراقية التي عملت في مجال التراث العربي المخطوط:

تعددت المدارس الاستشراقية التي عملت في مجال المخطوطات، وتحقيقها، ونشرها، والحفاظ عليها؛ صيانة، وترميمها، وأسهمت في عمل العديد من الفهارس، وقد اخترنا نماذج من هذه المدارس الاستشراقية[29] وأشهرها:

أولا: المدرسة الفرنسية:

تعد المدرسة الفرنسية من أهم مدارس الاستشراق، ولاسيما منذ إنشاء اللغات الشرقية الحية سنة 1795م، وقد نشط الاستشراق الفرنسي قبل الحملة الفرنسية على مصر، وبعدها، وأنشأ الفرنسيون الكثير من مراكز الدراسات، والبحوث والأقسام العلمية في الجامعات منها: جامعة السوربون في باريس، وجامعة ليون، وجامعة مارسيليا، وغيرها، ومن المراكز معهد الدراسات المجتمعات المتوسطية، ومركز دراسات وبحوث العالم العربي، والإسلامي[30]، وقد عكف الفرنسيون على جمع المخطوطات في وقت مبكر منذ القرن 11 ميلادي، فحين سقطت طليلة سنة 1085م في يد الملك الإسباني لفونس السادس ALPHONSE VI[31] سارع المطران ريمون Raymond إلى العكوف على الكنوز المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة لدراستها، وترجمة جانب منها، واستمر سعي الفرنسيين نحو المخطوطات العربية، وبحثهم عنها، وأعطتهم الحروب الصليبية منفذا جديدا نحو معقل المخطوطات في الشرق[32]، والمدرسة الفرنسية غنية بدراسي المخطوطات الكبار أمثال : كلول كامن[33] cl.cahen وريجيس بلاشير[34] L.Blache وسوفاجيه[35] Jean Sauvaget وسيلفستر دي ساسي[36] Silvester de Sacy وغيرهم.

ثانيا: المدرسة الألمانية:

إن الصفة البارزة للاستشراق الألماني أنه لم يزدهر نتيجة للاستعمار، كما هو الحال في فرنسا، وانجلترا، وهولندا أو يرتبط بأهداف دينية تبشيرية كسواه، فقد أسهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بجمع المخطوطات العربية، ونشرها وفهرستها، ولاسيما كتب المراجع و الأصول المهمة، ومن أهم ما قام به المستشرقون الألمان وضع المعاجم العربية، ولم يقتصر دورهم على حفظ هذه المخطوطات فحسب، بل عمدوا إلى تحقيقها تحقيقا علميا ذا فهارس متعددة، وتعد فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في فينيا من المؤلفات الرائدة التي يعتمد عليه المحققون العرب، وقد حقق المستشرقون الألمان عددا كبيرا من التراث العربي مثل: **الكامل للمبرد**، و **تاريخ الرسل و الملوك للطبري** الذي استمر تسعة عشر عاما من العمل المتواضع، **ومؤلفات البيروني**، **وبدائع الزهور لإبن إياس**، فضلا عن عدد كبير من دواوين الشعر القدامى، ولا يمكن لأي دارس في الأدب، و النقد العربيين أن يتجاهل أعمال مستشرقين ألمان كبار مثل كارل بروكلمان.[37] وكتابه الأدب العربي، الذي له فضل السبق في التعريف بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في مكتبات العالم جميعا، و عنوا بعلم البيبلوجرافية[38]، وفهرسة المخطوطات، وتصنيف المعاجم العربية، وتحريرها.[39] إن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون، والانجليز معا[40]، ومن بين المستشرقون الألمان الذي عنوا بالتراث العربي الإسلامي تحقيقا؛ نذكر عل سبيل المثال لا الحصر: وستنفلد فردينند[41] WUSTENFED ويوهان جاكوب رايسكة JOHAN JAKOB REISKE [42] وكبار المستشرقين الألمان كارل بروكلمان.

ثالثا: المدرسة الهولندية:

اهتم المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها، كما اهتموا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة (برل) التي تولت طباعة الموسوعة الإسلامية، ونشرها في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام، والمسلمين، ومن أهم أعلام الاستشراق الهولندي الذي عملوا في مجال المخطوطات رانيهارت دوزي[43] rienhart dowy، وما يكال دي خويه[44] حيث شارك هذا الأخير، وأشرف على تحقيق تاريخ الطبري، وهو عزيز الإنتاج.

ضف إلى ذلك المدرسة الروسية و الاسبانية و البريطانية لا يسعها الكلام عنهم للاختصار الواجب علينا.

الخاتمة:

مما سبق نخلص إلى أن ظاهرة الاستشراق التي صاحبت الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي قد انطلقت من دوافع مختلفة، وهدفت إلى تحقيق غايات متفرقة يصعب تطبيقها جميعها، أو معظمها، على مستشرق بعينه، وفي الوقت الذي نريد أم نقر فيه بوجود فئات جعلت العالم غايتها، هناك فئات لم تراع العلمية، و إنما سعت إلى تشويه التراث سعيا إلى تشويه المصادر التي انبثق عنها هذا التراث.

ويمكن القول إن اهتمام المستشرقين بالتراث قد سبق اهتمام المسلمين المعاصرين لهم، وذلك لعدة عوامل من أهمها وجود هذا التراث بين ظهراني المستشرقين، وبالتالي بعده عن المسلمين، هذا البعد الذي ربما ثبت أنه بعد محمود، نظرا لسوء التعامل مع التراث المخطوط بين العرب، والمسلمين في الفترات المتأخرة المظلمة من تاريخ العرب، والمسلمين.

كما نخلص إلى أنه ومن باب "رب ضارة نافعة" قد استفاد التراث العربي الإسلامي في غربته عن دياره، وأهله بحفظه ماديا، وصيانته، وترميمه، ثم استفاد علميا من حيث تحقيقه، ونشره، وترجمته، وإعداد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات حوله، وإنما تدخل هذه الجهود من الملحوظات الجوهرية، والمنهجية التي أدى إليها فقدان عامل الانتماء الثقافي لهذا التراث.

كما ظهر أن العرب، والمسلين لا يزالون غير متفقين على موقف إزاء إسهامات المستشرقين، ولكنهم يكادون يجمعون على فضل المستشرقين في حفظ التراث، وتختلف نسبة هذا الفضل بحسب الموقف من ظاهرة الاستشراق نفسها.

وقد أسهم المستشرقون في خدمة التراث العربي من حيث فهرسته، وتحديد أماكن وجوده في المكتبات، والمتاحف الغربية، فسهلت الفهرسة الوصول إلى هذه الكنوز بذاتها أو بالتصوير.

كما يمكن الخروج بنتائج نجملها في النقاط التالية:

1/ إن جهود المستشرقين العلمية الموجهة إلى الأعمال العربية، كشفت لنا بشكل واضح عن طريقتهم، ومنهجهم في التعامل مع المخطوطات.

2/ استفاد المستشرقون عند تحقيقهم للمخطوطات العربية من مناهج نشر النصوص اللاتينية، ومناهج المسلمين الأوائل في التوثيق، ولذا سبق العرب في هذا الميدان فعرفوا قيمة تلك النصوص، وسعوا إلى نشرها، وتحقيقها، وهم مع سبقهم للمسلمين في كثير من المسائل، أضافوا إضافات مهمة، جامعين بين مناهج الغربيين، والمسلمين.

3/ ليس كل ما حققه المستشرقون كان مقبولا، بل كان فيه الحسن، والرديء فضلا عن أنه كان في حينه مقبولا لعدم وجود البديل العربي، لكن عندما نهضت الحركة العلمية لإحياء التراث العلمي العربي، وبروز العديد من العلماء والمحققين في هذا الميدان، فإن العديد منهم فاقوا المستشرقين في هذا المجال.

4/ عني المستشرقون عناية جلية بحفظ المخطوطات، وصيانتها، وترميمها، وفهرستها، وتحقيقها، ثم نشرها، و فاقو العرب في تلك المرحلة.

5/ من خلال اطلاعنا على مناهجهم في التحقيق، و النشر يظهر لنا الاختلاف الواضح، والتفاوت بين طبيعة أعمالهم، حينما كانت مناهج التحقيق في بداية ظهورها، وقبل استقرارها، فمنهم المتعصب، و غير المنعف، ومنهم المعتدل، ولابد من الوقوف على بعض المؤلفات للنظر فيها.

6/ يسجل للمستشرقين السعي الحديث، والجدة في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط، مما يدفعنا إلى ضرورة العناية بتلك المخطوطات، و حمايتها، وصيانتها، وتحقيقها، ونشرها باعتبارها ثراتنا الأصيل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإحالات و الهوامش :

- هو محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب الجزائري الأديب الباحث، أحد أعلام المغرب العربي النابهين في نهاية القرن التاسع عشر، و بداية القرن العشرين، وأحد رواد النهضة العربية الحديثة، أول عربي حامل لشهادة الدكتوراه في العصر الحديث، اشتهر في تحقيق مؤلفات غيره من بينها: "البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان" لابن مريم التلمساني، و"الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"، وغيرها توفي عام 1929م بالجزائر. (ينظر: أبو القاسم سعد الله، حياة و تراث ابن أبي شنب، الجزائر، دار البصائر، طبعة:2007م، ج04،ص156).

2- هو العالم المؤرخ عبد السلام هارون، أحد أشهر محققي التراث العربي في القرن العشرين ولد عام 1909م، من مؤلفاته: "صفوة الصفوة" لجمال الدين أبي فرج عبد الرحمان بن علي الجوزي، و "تحقيق النصوص و نشرها"، و"قطوف أدبية"، و"مجالس العلماء"، وغيرها، توفي عام 1988م، (ينظر: محمد مهدي علام، المعجميون في خمسين عاما، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، طبعة:1986م، ص163 و ما بعدها).

3- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت، ص201.

4- في محاولة التعريف الدقيق للتراث، ينظر التفصيل الذي أورده عبد الوهاب أبو النور في: مقترحات لجمع، وخدمة التراث العربي، الثقافة العربية، عدد 1976 م، ص196، 227.

5- عبد الستار الحلوجي، نحو خطة عربية لتجميع تراثنا المخطوط، في دراسات في الكتب والمكتبات، جدة، مكتبة مصباح، طبعة: 1988م، ص169 وما بعدها.

6- عبد القادر أحمد عبد القادر، صنعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة في الحضارة الإسلامية، سوريا، دار الوثائق، الطبعة الأولى: 2006م، ص65.

7- ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص123.

8- محمد التونجي، المناهج في تأليف وتحقيق المخطوطات، دمشق، دار الملاح، طبعة: 1986م، ص263.

9- ينظر: كردي علي محمد، الإسلام و الحضارة العربية، ج01، ص267.

10- محمد التنوجي، المناهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص263.

11- ينظر: كردي علي حمد، الإسلام و الحضارة العربية، ج01، ص267.

12- المرجع نفسه، ص 264.

13- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ص327.

14- ينظر: بير بروجر، وصف حملة معسكر، باريس، الأرشيف الفرنسي 1837م، ص76،77،87.

15- المرجع نفسه في يوم 30- 10- 1830م.

16- يقول مصطفى هدارة: "غير أن الصفوة من الدارسين الذين يتابعون فكر المستشرقين، وكتاباتهم يعدون في ثنايا ذلك بعض الجهود الجيدة، و ربما المنصفة، فمجهودات بعضهم في تحقيق التراث الإسلامي، والعربي يعد لأمرا حميدا....". (ينظر: الاستشراق سلبياته غالبة وقليل من المتشرقين فيهم خير لا يحدد، حوار أحمد فضل شبلول، مجلة الأدب الإسلامي مج2، عدد:5، 1995م، ص 13 -22.

17- قاسم السمرائي، الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية المحفوظة في مركز البحوث، الرياض، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبعة: 1988م، ص7.

18- ينظر: علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، الرياض، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، طبعة: 1933م، ص390.

19- محمد كرد علي، أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، عدد7، سنة: 1927م، ص455.

20- محمود عمري زقزوق، في مواجهة الاستشراق، المسلم المعاصر،مج 17/عدد: 65- 1993/66م، ص11- 40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

21- ينظر: محمود الطناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، القاهرة، مكتبة الخانجي، طبعة: 1984م، ص216، 230.

22- لا مقارنة بين الجهد الذي يبذل في فهرسة المخطوطة، وفهرسة المطبوعة، كما أن فهرسة المخطوطة أوسع من حيث البيانات عنها في المطبوعة، و لذا فإن فهرسة المخطوطات تحتاج إلى سعة علم، واطلاع يفوق النظرة "الفنية" لهذا الوعاء من أوعية المعلومات. (ينظر: عبد الستار الحلوجي، فهارس المخطوطات، دراسات في الكتب و المكتبات، ص155- 168.

23- سامي الصقار، دور المستشرقين في خدمة التراث، المنهل مج05، عدد481 أبريل 1989م، ص142- 167.

24- محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، طبعة: 1992م، ص 76.

25- محمود محمد الطناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، مرجع سابق، ص215- 222.

26- ينظر: عبد الكريم الحبيب، علاقة الأوروبيون بالتراث العربي، الآداب والفلسفة، بيروت، عالم الكتب، طبعة: 1994م، ص526- 532.

27- ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، طبعة: 1991م، ج2، ص199.

28- علي بن إبراهيم النملة، أعمال المستشرقين مصدرا من مصادر المعلومات عن الإسلام و المسلمين، الرياض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد 8 سنة 1992م، ص 519- 564.

29- هناك الكثير من المدارس، والمستشرقين الذين عملوا في مجال المخطوطات مثل: المدرسة الأمريكية، والمدرسة الايطالية، وغيرها وإنما اقتصرنا على نماذج منها خشية أن نطيل في هذا البحث.

30- ينظر: نجيب العقيقي،المستشرقون، القاهرة، دار المعارف، الطبعة 4: 1980م، ج01، ص138.

31- ألفونس السادس بن فرديناند الأول (1030، 1109م) تولى الملك سنة 1065م، و احتل طليطلة، واتخذها عاصمة له سنة 1085م، وانهزم في وقعة الزلاقة سنة 1086م، ثم في وقعة أقليس سنة 1108م، حيث مات ابنه الوحيد سانشو، ومات ألفونس على إثره. والعرب تسميه الأذفونش قرة كند، ملك الإفرنج بالأندلس. (ينظر ترجمة: الزركلي خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين،الطبعة الخامسة عشر: 2002م، ج6، ص181.

32- أحمد دوريش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: 1997م، ص9- 10.

33- أنظر ترجمته في عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة: 1993م، ص460- 461.

34- أنظر ترجمته في المرجع السابق، ص127.

35- المرجع السابق، ص356.

36- المرجع السابق، ص334- 339.

37- المرجع السابق، ص98- 105.

38- هي التصنيف لكل فرع من فروع المعرفة، وتصنيف العلم المعين إلى أقسام متعددة، والمفردة ذات أصل يوناني، مأخوذة من كلمة كتاب، أو كتابة، وتعني أيضا فهرس العناوين الشاملة لا كتاب من وجود قائمة بأسماء الأعلام، والإسم، والقبائل، والجماعات، والمواضيع الجغرافية، وعناوين الكتب وأقسامها. (ينظر: لويز ماكليس، البيبلوغرافيا، ترجمة بهيج شعبان، مراجعة هنري رغيب، بيروت، منشورات عويدات، الطبعة الأولى: 1974م، ص 10- 11.

39- ينظر: صلاح منجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى: 1998م، ص8- 10.

40- المرجع السابق، ص8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

41- ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 399- 402.

42- ينظر ترجمه: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، ليبيا الطبعة الثانية: 2000م، ص110.

43- ينظر ترجمته: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 159- 236.

44- المرجع السابق، ص 230- 237.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com